ومناسبة الانتقال من ذكر السماوات إلى ذكر السحاب والمطر قوية .

والمعصرات : بضم الميم وكسر الصاد السحابات التي تحمل ماء المطر واحدثها معصرة اسم فاعل من : أعصرت السحابة إذا آن لها أن تعصر أي تنزل إنزالا شبيها بالعصر . فهمزة (أعصر) تفيد معنى الحينونة وهو استعمال موجود وتسمى همزة التهيئة كما في قولهم : أجز الزرع إذا حان له أن يجز " بزاي في آخره " وأحصد إذا حان وقت حصاده . ويظهر من كلام صاحب الكشاف أن همزة الحينونة تفيد معنى التهيؤ لقبول الفعل وتفيد معنى التهيؤ لإصدار الفعل فإنه ذكر : أعصرت الجارية أي حان وقت أن تصير تحيض وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب : أركب المهر إذا حان أن يركب وأقطف الكرم إذا حان أن يقطف . ثم ذكر : أقطف القوم : حان أن يقطفوا كرومهم وأنتجت الخيل : حان وقت نتاجها .

وفي تفسير ابن عطية عند قوله تعالى (ألم تر أن ا يزجي سحابا) الآية من سورة النور والعرب تقول : إن ا تعالى إذا جعل السحاب ركاما جاء بالريح عصر بعضه بعضا فيخرج الودق منه ومن ذلك قوله (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) ومن ذلك قول حسان : .

كلتاهما حلب العصير فحاطني ... بزجاجة أرخاهما للمفصل أراد حسان الخمر والماء الذي مزجت به أي هذه من عصير العنب وهذه من عصير السحاب فسر هذا التفسير قاضي البصرة عبيد ا بن الحسن العنبري للقوم الذين حلف صاحبهم بالطلاق أن يسأل القاضي عن تفسير بيت حسان اه .

والثجاج : المنصب بقوة وهو فعال من ثج القاصر إذا انصب يقال ثج الماء إذا انصب بقوة فهو فعل قاصر . وقد يسند الثج إلى السحاب يقال : ثج السحاب يثج بضم الثاء إذا صب الماء فهو حينئذ فعل متعد .

ووصف الماء هنا بالثجاج للامتنان .

وقد بينت حكمة إنزال المطر من السحاب بأن ا جعله لإنبات النبات من الأرض جمعا بين الامتنان والإيماء إلى دليل تقريب البعث ليحصل إقرارهم بالبعث وشكر الصانع .

وجيء بفعل (لنخرج) دون نحو : لننبت لأن المقصود الإيماء إلى تصوير كيفية بعث الناس من الأرض إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام ألا ترى أنه لما كان المقصد الأول من آية سورة ق هو الامتنان جيء بفعل (أنبتنا) في قوله (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات) الآية ثم أتبع ثانيا بالاستدلال به على البعث بقوله (كذلك الخروج) . والبعث خروج من الأرض قال تعالى (ومنها نخرجكم تارة أخرى) في سورة طه .

: مثل للناس المقتات الحب : هنا بالحب والمراد . البرزة وهي حبة جمع اسم : واحب A E الحنطة والشعير والسلت والذرة والأرز والقطنية وهي الحبوب التي هي ثمرة السنابل ونحوها .

والنبات أصله اسم مصدر نبت الزرع قال تعالى (وا أنبتكم من الأرض نباتا) . وأطلق النبات على النابت من إطلاق المصدر على الفاعل وأصله المبالغة ثم شاع استعماله فنسيت المبالغة .

والمراد به هنا : النبات الذي لا يؤكل حبه بل الذي ينتفع بذاته وهو ما تأكله الأنعام والدواب مثل التبن والقرط والفصفصة والحشيش وغير ذلك .

وجعلت الجنات مفعولا ل (نخرج) على تقدير مضاف أي نخل جنات أو شجر جنات لأن الجنات جمع جنة وهي قطعة من الأرض المغروسة نخلا أو نخلا وكرما أو بجميع الشجر المثمر مثل التين والرمان كما جاء في مواضع من القرآن وهي استعمالات مختلفة باختلاف المنابت .

ووجه إيثار لفظ (جنات) أن فيه إيماء إلى إتمام المنة لأنهم كانوا يحبون الجنات والحدائق لما فيها من التنعم بالظلال والثمار والمياه وجمال المنظر ولذلك أتبعت بوصف (ألفافا) لأنه يزيدها حسنا وإن كان الفلاحون عندنا يفضلون التباعد بين الأشجار لأن ذلك أوفر لكمية الثمار لأن تباعدها أسعد لها بتخلل الهواء وشعاع الشمس لكن مساق الآية هنا الامتنان بما فيه نعيم الناس .

وألفاف : اسم جمع لا واحد له من لفظه وهو مثل أو زاع وأخياف أي كل جنة ملتفة أي ملتفة الشجر بعضه ببعض .

فوصف الجنة بألفاف مبني على المجاز العقلي لأن الالتفاف في أشجارها ولكن لما كانت الأشجار لا يلتف بعضها على بعض في الغالب إلا إذا جمعتها جنة أسند ألفاف إلى جنات بطريق الوصف . ولعله من مبتكرات القرآن إذا لم أر شاهدا عليه من كلام العرب قبل القرآن